قيام الليل عند الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم

قيام موسى عليه الصلاة والسلام :

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« **مررتُ ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى فى قبره** »[1] .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأما كونه رأى موسى قائماً يصلى فى قبره ، ورآه فى السماء أيضًا فهذا لا منافاة بينهما فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة . فى اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك ، ليست فى ذلك كالبدن .

وهذه الصلاة ونحوها مما يتمتع بها الميت ، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح ، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس فى الدنيا النفس ، فهذا ليس من عمل التكليف الذى يطلب له ثواب منفصل ، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذى تتنعم به الأنفس وتتلذذ به .

وقول النبى ﷺ « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له** » يريد به العمل الذى يكون له ثواب ، لم يرد به نفسه العمل الذى يتنعم به ، فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلى الله ، ويتنعمون بذكره وتسبيحه ، ويتنعمون بقراءة القرآن ، ويقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها .

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته ، وإن كانت هذه الأمور فى الدنيا أعمالا يترتب عليها الثواب فهى فى الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه ، وهذه كلها أعمال أيضاً ، والأكل والشرب والنكاح فى الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة ، وهو فى الآخرة نفس الثواب الذى يتنعم به والله أعلم »[2] ا.هـ. كلام شيخ الإسلام رحمه الله بأبى وأمى نبى الله

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائى .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ص ٣٢٩ ، ٣٣٠

موسى عليه السلام لسان حاله يقول لمولاه :

فما منكم بُدٌّ ولا عنكمُ غِنَى ... وَمَا لِيَ من صبر فأسلوَ عنكمُ

ويرحم الله ابن القيم رحمه الله حين يقول عن المحب لله عز وجل :

وتفنى عظام الصب بعد مماته ... وأشواقه وقف عليه مُحَرَّمُ

فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أحياء فى قبورهم ؟ !

قيام عيسى عليه السلام :

كان عليه السلام يقول : « إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما » ويقول « اعملوا الليل لما خلق ، واعملوا النهار لما خلق له .

روى عن ابن عباس أنه قال لرجل سأله عن الصيام :

« وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فإنه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ليس له ولد يموت ، ولا بيت يخرب ، وكان أينما أدركه الليل صفن بين قدميه وقام يصلى حتى يصبح »[1] .

قيام نبي الله داود عليه السلام :

صوتُ الأوّابِ مـزامـيـرٌ ... فـلـتصغ جبال البلدان

قال رسول الله ﷺ : **«كان داود أعبد البشر»**[2] .

وقال ﷺ : « **أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله**

---

(١) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦ .

(٢) صحيح : رواه مسلم عن ابن عمروالترمذى والحاكم فى المستدرك والبخارى فى « التاريخ » عن أبى الدرداء ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٣٢٩) .

صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ويصوم يومًا ويفطر يوما »[1] .

● عن الجريرى قال : بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام سأل جبريل فقال : يا جبريل : أى الليل أفضل ، قال : ياداود ما أدرى إلاّ أن العَرش يهتز من السحر »[2] .

قال الحسن : لما أصاب داود الخطيئة خرّ ساجدًا أربعين ليلة فقيل له : ياداود ارفع رأسك فقد عفوت عنك . وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : خرّ داود أربعين ليلة ساجدًا يبكى فرفع رأسه وما فى جبينه لُحادة من لحم »[3] :

قال تعالى : **﴿ اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادى الشكور ﴾** .

قال الحافظ ابن كثير : « كان لا يمضى ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلاّ وأهل بيته فى عبادة ليلاً ونهارًا ، وكان داود عليه السلام هو المقتدى به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات .

قال تعالى : **﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب ﴾**[4]

قال ابن عباس ومجاهد : الأيد : القوة فى الطاعة يعنى ذا قوة فى العبادة .

وروى عن ابن عباس عن قيام داود عليه السلام :

« وكانت له ركعة من الليل يبكى فيها نفسه ، ويبكى ببكائه كل شىء ، ويصرف بصوته الهموم والأحزان »[5] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأحمد .
(٢) رواه أحمد بن حنبل فى الزهد ص ٧٠ .
(٣) الزهد والرقائق ص ١٦٢ ، والزهد لابن حنبل ص ٧١ .
(٤) سورة ص الآية رقم ١٧ .
(٥) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦ .

قيام سليمان بن داود عليه السلام :

قال قتادة قال سليمان بن داود عليه السلام : « عجبًا لتاجر كيف يخلص يحلف بالنهار وينام بالليل »[1] .

ورُوى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **قالت أم سليمان بن داود لسليمان : يا بُنَىَّ لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا يوم القيامة** »[2] .

من قيام داود وآله :

عن وهيب بن الورد أن داود عليه السلام كان قد جعل الله كله نُوَبًا عليه وعلى أهل بيته، لا تمر ساعة من الليل إلا وفى بيته مصل لله وذاكر ،فلما كان نوبة داود قام يصلى وبين يديه غدير ، وكأنه أعجب بما هو فيه وأهل بيته مما فضلوا به من العبادة فأنطق الله ضفدعاً من الماء فنادته « يا داود كأنك أعجبت بما أنت فيه وأهل بيتك من عبادة ربك ، فوالذى أكرمك بالنبوة إنى لقائمة لله منذ خلقنى على رجل ما استراحت أوداجى من تسبيحه إلى هذه الساعة فما الذى يعجبك من نفسك وأهل بيتك ، قال : فتصاغرت إلى داود نفسه . وعن ابن عباس فنادته ضفدع : يا داود كنت أدأب منك لقد أغفيت إغفاءة ، وفى رواية : لا تعجب بنفسك فقد رأيتك البارحة حين خفقت برأسك .

● عن ثابت البنانى بلغنا أن داود عليه السلام جزّى أهل بيته الصلاة فلم تكن تأتى ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى . وعن مجاهد « لما

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ٤٠ .

(٢) رواه ابن ماجة والبيهقى وقال الهيثمى : وفى إسناده احتمال للتحسين ، وقال ابن حجر فيه الفضل ابن عيسى الرقاشى وقد أجمعوا على ضعفه انظر مجمع الزوائد ج ٢ ص ٨٠ .

أنزلت ﴿ **اعملوا آل داود** ﴾ قال داود لسليمان : إن الله قد ذكر الشكر فاكفنى قيام النهار وأكفيك قيام الليل قال لا أستطيع قال : فاكفنى إلى صلاة الظهر فكفاه . وعن ابن شبرمة : لما أنزلت ﴿ **اعملوا آل داود شكرًا** ﴾ اعتقبوا الليل فكنت لا ترى منهم إلا مصليًا .

قيام يحيى بن زكريا السيد الحصور المبارك عليهما السلام :

الخائف الوجل الذى أثنى ربه عليه فقال :

﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيًا ، وحنانًا من لدنا وزكاة وكان تقيًا . وبرًا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا** ﴾[1] .

عن مجاهد قال : «كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام العشب وإن كان ليبكى من خشية الله ما لو كان القار على عينيه لخرقته دموعه ، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى فى وجهه[2] .

- عن يحيى بن جابر عن يزيد بن ميسرة قال : كان طعام يحيى الجراد وقلوب الشجر وكان يقول : مَنْ أنعم منك يا يحيى وطعامك الجراد وقلوب الشجر[2] .
- عن وهيب بن الورد قال : بلغنا أن إبليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال له : إنى أريد أن أنصحك قال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا على ثلاثة أصناف : أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شىء أدركنا منه ثم نعود له فيعود فلا نحنُ نيأسُ منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا . وأما الصنف الآخر فهم فى أيدينا بمنزلة الأكرة[3] فى أيدى صبيانكم

---

(١) مريم الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١٦٥ ، ٤٧ وانظر الزهد لابن حنبل ص ٩٠ .

(٣) جمع كرة

نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فقال له يحيى على ذلك هل قدرت مني على شيء ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فإنك قدّمت طعامًا تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها فقال له يحيى : لا جرم لا شبعتُ من طعام أبداً حتى أموت . فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك[1] .

ليلة واحدة تنامها أيها المبارك أيها السيد الحصور فتقسم ألا تشبع من طعام أبداً حتى لا تفوتك صلاتك بالليل ، أما نحن فسل عنا الجشأ وسل عنا الوسادة .

قيام إدريس عليه السلام :

عن القاسم بن عوف الشيباني قال : بينا أنا عند خالد بن عرعرة وأبي عُجَيل وزارهما الربيع بن خيثم فقال أحدهما لصاحبه حدّث أبا يزيد ما سمعت من كعب فقال بينا نحن عند كعب إذ أتاه رجل بين بردى حبرة فإذا هو ابن عباس فقال ابن عباس لكعب إني سائلك عن أشياء أجدها في كتاب الله فسأله عن إدريس ورفع مكانه فقال إن إدريس كان رجلاً خياطاً وكان يكسب فيجرى كسبه فيتصدق بثلثه وكان لا ينام الليل ولا يفطر النهار ولا يفتر عن ذكر الله فأتاه جبريل فبشره وقال هل لك من حاجة ؟ قال : وددت أني أعلم متى أجلي قال : ما أعلم ذلك فصعد به إلى السماء فإذا ملك الموت فسأله متى أجله فنظر ملك الموت في الكتاب فوجده لم تبق من أجله إلا ست ساعات أو سبع

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٤ .

وقال أمرت أن أقبض روحه ههنا فقبض روحه فى السماء فذلك رفع مكانه »[1] .

قيام ذى النون عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين**﴾ . نبى الله يونس عليه السلام صاحب الحوت يناجى فى الظلمات : ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت ويسبح ، لسان حاله يقول « قد اتخذت لك مسجداً ـ وهو بطن الحوت ـ ما اتخذه أحد قبله يسافر الليل مع الحوت داعياً مسبحاً مناجياً متهجداً .

لله أنتم معاشر الأنبياء .

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٤ .

ملحوظة : قد نسبنا الكلام إلى مصدره وبذلك برئت منا الذمة والعهدة على مصدره . وقد قال رسولنا ﷺ « **حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج** » أى من طول الإسناد وأفضل هدى محمد ﷺ ونعرض ما جاءنا عنهم على كتاب الله وعلى سنة نبيه .

- أما كعب الأحبار فالجمهور على توثيقه ويكفى قول الحافظ ابن حجر فى الفتح [١٣/٢٨٥] : كان من أخيار الأحبار .

والأحرى بكعب رحمه الله لو أنه ميز فى مروياته بين الغث والسمين وما يجوز نقله ومالا يجوز » انظر الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٣٧٢ ، ١٠٢ وما بعدها .